

من التراث الفالو لمعلم الأجيال



واخل الأبواب المرشوشة بالوم



من التراث الخالد لمعلم الأجيال
الكتاب الثاني: داخل الأبواب المرشوشة بالدم
الناشر: المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت
<http://copticlibrary.blogspot.com>
تاريخ النشر: مارس ٢٠١٢م



مثلث الرحمت

قداسة الابا شنوده الثالث

بابا الاسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية ال ١١٧

هذه السلسلة

تقدم المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت لقراءها الأعزاء في هذه السلسلة بعضاً من التراث الخالد لمعلم الأجيال وزهبي فم القرن العشرين والحادي والعشرين مثلث الرحمات قداسة البابا شنودة الثالث. الذي أثرى حياتنا، وحياة الملايين من محبيه عبر الأجيال بأقواله وتعاليمه وحياته، فكان مصباح منير، بل شمس ساطعة أضاءت بقوة عالمنا الذي يحتاج دوماً إلى قدوة صالحة تسير على هدى السيد المسيح وتتبع خطواته في الحب والبذل والاتضاع.

وكتابنا الثاني في هذه السلسلة بعنوان «داخل الأبواب المرشوشة بالدم» عن مقال نشره الأستاذ نظير جيد (البابا شنودة الثالث) في مجلة مدارس الأحد عدد مارس ١٩٥٣م.
نصلي إلى الرب أن ينيح روحه الطاهرة في ملكوت السموات وأن يمتعنا ببركه صلواته عنا.

المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت - مارس ٢٠١٢م

داخل الأبواب المرشوشة بالدم

هل نفهم من قصة خروف الفصح التي حدثت وتكررت منذ ٣٥٠٠ سنة كثيراً من تعاليم المسيحية التي نعرفها اليوم؟
هل تحدثنا هذه القصة عن الفداء والكنيسة في قداستها ووحدها، والقداس الإلهي وسري التوبة والاعتراف؟
وهل تعطي فكرة عن خلاص الأمم إلى جوار شعب إسرائيل؟

وهل تعطينا جواباً أرثوذكسياً في مسألة «الإيمان والأعمال»؟

وهل تشرح ترتيب أسبوع الآلام وفكرة عن جمعة الصلبوت؟

وهل تتكلم أيضاً عن العماد كأول الأسرار؟
كل هذا نجيب عنه في هذا المقال..

خروف الفصح ورموزه للسيد المسيح

قصة الفصح

وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ فِي أَرْضِ مِصْرَ قَائِلًا: «هَذَا الشَّهْرُ يَكُونُ لَكُمْ رَأْسَ الشُّهُورِ. هُوَ لَكُمْ أَوَّلَ شُهُورِ السَّنَةِ. كَلَّمَا كُلَّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ قَائِلِينَ: فِي الْعَاشِرِ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ يَأْخُذُونَ لَهُمْ كُلُّ وَاحِدٍ شَاةً بِحَسَبِ بُيُوتِ الْآبَاءِ، شَاةً لِلْبَيْتِ. وَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ صَغِيرًا عَنْ أَنْ يَكُونَ كُفْوًا لِشَاةٍ، يَأْخُذُ هُوَ وَجَارُهُ الْقَرِيبُ مِنْ بَيْتِهِ بِحَسَبِ عَدَدِ النَّفُوسِ. كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ أَكْلِهِ تَحْسِبُونَ لِلشَّاةِ. تَكُونُ لَكُمْ شَاةً صَحِيحَةً ذَكَرًا ابْنَ سَنَةٍ، تَأْخُذُونَهُ مِنَ الْخِرْفَانِ أَوْ مِنَ الْمَوَاعِزِ. وَيَكُونُ عِنْدَكُمْ تَحْتَ الْحِفْظِ إِلَى الْيَوْمِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ. ثُمَّ يَذْبَحُهُ كُلُّ جُمْهُورِ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ فِي الْعَشِيِّ. وَيَأْخُذُونَ مِنَ الدَّمِ وَيَجْعَلُونَهُ عَلَى الْقَائِمَتَيْنِ وَالْعَتَبَةِ الْعُلْيَا فِي الْبُيُوتِ الَّتِي يَأْكُلُونَهُ فِيهَا. وَيَأْكُلُونَ اللَّحْمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَشْوِيًا بِالنَّارِ مَعَ

خروف الفصح ورموزه للسيد المسيح

فَطِيرٍ عَلَى أَغْشَابٍ مُرَّةٍ يَأْكُلُونَهُ. لَا تَأْكُلُوا مِنْهُ نَبِيًّا أَوْ طَبِيخًا مَطْبُوحًا بِالْمَاءِ، بَلْ مَشْوِيًّا بِالنَّارِ. رَأْسُهُ مَعَ أَكَارِعِهِ وَجَوْفِهِ. وَلَا تَبْقُوا مِنْهُ إِلَى الصَّبَاحِ. وَالْبَاقِي مِنْهُ إِلَى الصَّبَاحِ، تُحْرِقُونَهُ بِالنَّارِ. وَهَكَذَا تَأْكُلُونَهُ: أَحْقَاؤُكُمْ مَشْدُودَةٌ، وَأَحْذَيْتُكُمْ فِي أَرْجُلِكُمْ، وَعَصِييُكُمْ فِي أَيْدِيكُمْ. وَتَأْكُلُونَهُ بِعَجَلَةٍ. هُوَ فِصْحٌ لِلرَّبِّ. فَإِنِّي أَجْتَازُ فِي أَرْضِ مِصْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، وَأَضْرِبُ كُلَّ بَكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ. وَأَصْنَعُ أَحْكَامًا بِكُلِّ آلِهَةِ الْمِصْرِيِّينَ. أَنَا الرَّبُّ. وَيَكُونُ لَكُمْ الدَّمُ عَلَامَةً عَلَى الْبُيُوتِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا، فَأَرَى الدَّمَ وَأَعْبُرُ عَنْكُمْ، فَلَا يَكُونُ عَلَيْكُمْ ضَرْبَةٌ لِلْهَلَاكِ حِينَ أَضْرِبُ أَرْضَ مِصْرَ. وَيَكُونُ لَكُمْ هَذَا الْيَوْمُ تَذْكَارًا فَتُعِيدُونَهُ عِيدًا لِلرَّبِّ. فِي أَجْيَالِكُمْ تُعِيدُونَهُ فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً. (سفر الخروج ١٢: ١ - ١٤)

ر ر ر

إن خروف الفصح رمز واضح ليسوع المسيح إذ يقول القديس بولس بصرحة «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا» (١ كو ٥: ٧). ولنستعرض الأمر من ناحية عامة ومن بعض النواحي التفصيلية.

الخلاص في الدم وحده

كانت هناك ضربة، المهلك سيمر بسيفه ليقتل الأبقار، الموت سيدخل كل بيت. وأمام هذا كله يقف الدم، فعندما يرى المهلك الدم يعبر عنهم. كأن خلاصهم في الدم، وفي الدم وحده. لا تجديهم نقاوة خاصة، ولا قوة ذاتية، ولا قوة جيش، ولا أي شيء في الوجود، غير الدم. «بدون سفك دم لا تحدث مغفرة». هذا الدم هو الذي سينقذهم من الموت، وقد كان. أما المصريون الذين لم يجعلوا الدم علامة على أعتابهم، فقد زار الموت بيوتهم سواء في ذلك فرعون الجالس على كرسیه أو آية جارية خلف الرحي «وكان صراخ عظيم في كل أرض مصر لم

يكن مثله ولا يكون مثله...»

مبدأ الفداء

أ- ولكن أي دم يسفك؟ سوف لا يموت أحد من بني إسرائيل. ولكن هناك من يموت عنهم، خروف الفصح. هنا - إلى جوار الدم - يظهر مبدأ آخر وهو الفدية. الفداء هو موت كائن ليس عن نفسه وإنما عن آخرين. أكان بنو إسرائيل يحسون وهم يذبحون خروف الفصح أن الخروف يموت عنهم، وإن لم يمت فهناك المهلك وسيفه؟ لا بد أنهم اختبروا هذا الإحساس وخاصة أن الله لم يرد أن تتركهم هذه الذكرى أبداً، فجعل خروف الفصح فريضة دهرية عليهم يكررونها كل سنة ويتذكرون... كان الإسرائيلي يعرف أن واحداً من الاثنين يجب أن يموت. إما هو وإما الخروف. فإن لم يذبح الخروف سيدخل الموت إلى بيته بسيف المهلك. وإن مات الخروف عنه فسيحيا.

ب - ولكي يزداد الأمر رسوخاً في أذهانهم كان يذبح هذا الحيوان البريء. لو كان الذي يموت عنهم واحداً منهم. ربما كان البعض يظن أن هذا الواحد يموت من أجل خطاياهم. ولكنهم في هذه الفدية يرون حيواناً بريئاً لم يفعل خطية يموت من أجلهم، وللتشديد على هذه النقطة اشترط الله في خروف الفصح أن يكون الخروف «صحيحاً» بلا عيب (خروج ١٢: ١٥). وكخروف فهو من الحيوانات الطاهرة. كانت كل هذه رموزاً إلى الفادي الحقيقي الذي بلا خطيئة وحده، تساعدهم فيما بعد عندما يحدثهم اشعياء عن «الشاة التي تساق إلى الذبح» وعندما يحدثهم يوحنا في رؤياه عن الخروف المذبوح. أو عندما يصرخ فيهم المعمدان «هذا هو حمل الله الذي يحمل خطايا العالم».

الكنيسة المجتمعة حول الذبيحة المقدسة

وكانوا يجتمعون معاً حول الخروف المذبوح، يأكلون

حروف الفصح ورموزه للسيد المسيح

منه. فالخروف لم يكن فقط سبباً في تخليصهم بدمه، وإنما أيضاً في اجتماعهم للتغذي منه. هنا ترسم أمام الإسرائيلي صورة للكنيسة المفدية بدم الخروف، المجتمعة للتغذي منه. أما المسيحي فترسم أمامه صورة القديس الإلهي.. اجتماع المؤمنين حول الخروف أعطانا صورة عن تكوين الكنيسة، ولكن ماذا عن الأكل منه. في الأكل منه غذاء وتقوية. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن الخروف لم يعد بعد على مذبح، وإنما فينا، سكن فينا وتثبت فينا، وأصبحنا نحن وهو واحداً «من يأكل جسدي ويشرب دمي، يثبت في وأنا فيه..». وما هو القديس؟ أليس هو اجتماع المفديين بالدم، حول الذبيحة المقدسة التي أنقذتهم من الموت، ليتغذوا بها وينالوا الحياة.. هكذا كان المجتمعون حول الفصح..

الولادة الجديدة

وبخروف الفصح بدأ تاريخ جديد في حياة بني إسرائيل

داخل الأبواب المرشوشة بالدم

فقال الرب «هذا الشهر يكون لكم رأس الشهر. هو لكم أول شهور السنة» (خر ١٢: ٢). اننا بدم الخروف المرشوش على أبوابنا، وبالأكل منه نبدأ حياة جديدة مع الله. كل التاريخ الماضي لبني إسرائيل بدأ يتحول. أصبحوا لا يؤرخون بالنسبة إلى آبائهم، ولا بالنسبة إلى فراعنتهم كما كان الحال في مصر، وإنما بالنسبة لخروف الفصح، لأنه يمثل نقطة التحول في حياتهم. فكان هذا مبدءاً حياة جديدة مقدسة بالدم. بالنسبة إليك كمسيحي أيرمز هذا إلى السنة الميلادية، إلى يوم عمادك...؟

كل هذه أفكار عامة يمكن أن يفهمها حتى البسطاء، ولكن خروف الفصح كان يحمل تفاصيل دقيقة تثبت بالأكثر إشارته إلى السيد المسيح:

أ- ملء الزمان:

«تأخذونه من الخرفان أو المواعز. ويكون عندكم تحت

حروف الفصح ورموزه للسيد المسيح

الحفظ إلى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر». كان الاسرائيلي يختار الحروف، ويعرف أنه سيدبح، وأنه يمثل الفدية، وأنه سيأكل منه. ولكنه مع ذلك لا يتعجل الوقت، بل يظل منتظراً الموعد، إلى أن يأتي ملء الزمان فيذبح الحروف. والرمز واضح في ذلك إلى المسيح الذبيحة الكفارية المعروفة في علم الله السابق، والتي ظلت تحت الحفظ حتى جاء ملء الزمان... وهذا النظام نراه في أسبوع الآلام. بعد انتهاء قداس أحد السعف يبدأ أسبوع الآلام، حروف الفصح تحت الحفظ... إلى يوم الفداء.

ب- آلام المسيح:

«ويأكلون اللحم في تلك الليلة مشوياً بالنار مع فطير»
«... مشوياً بالنار رأسه مع أكارعه وجوفه». كان لا بد للخروف أن يجتاز النار، والنار هنا رمز للغضب الإلهي، أو قل إنها ترمز إلى أن العدل الإلهي قد أخذ حقه. كنا معرضين جميعاً

لهذه النار، ولكن نشكر الله أن خروف الفصح قد جازها عنا. والنار بالنسبة للمسيح كانت في آلام الصليب من جهة، وفي الغضب الإلهي من جهة أخرى «إلهي إلهي لماذا تركتني». وخروف الفصح قد أنشوى بالتمام، جملة وتفصيلاً: رأسه مركز الإدراك فيه، وأكارعه وجوفه أي خارجه وداخله. أتت النار فيه على كل شيء، وهكذا السيد المسيح في آلامه النفسية والجسدية.

ج - مع فطير

والفطير يرمز إلى النقاوة، بينما يرمز الخمير إلى الشر. ولذلك يقول معلمنا بولس الرسول «إذا لتعيد ليس بخميرة عتيقة، ولا بخميرة الشر والخبث، بل بفطير الإخلاص والحق» (١ كو ٥: ٨). ولم يكن الأمر مقتصراً على أكل الفطير مع الفصح، وإنما كان يعقب هذه الوليمة الإلهية عيد يسمى عيد الفطير يستمر ٧ أيام ينزع فيه الخمير تماماً من إسرائيل. وفي

حروف الفصح ورموزه للسيد المسيح

ذلك يقول الله «ويكون لكم هذا اليوم تذكاراً فتعيدونه عيداً للرب. في أجيالكم تعيدونه فريضة أبدية. سبعة أيام تأكلون فطيراً. اليوم الأول تعزلون الخمير من بيوتكم. فإن كل من أكل خميراً من اليوم الأول إلى اليوم السابع تقطع تلك النفس من إسرائيل.. في الشهر الأول في اليوم الرابع عشر من الشهر مساء تأكلون فطيراً إلى اليوم الحادي والعشرين من الشهر مساء. سبعة أيام لا يوجد خمير في بيوتكم فإن كل من أكل مختماً تقطع تلك النفس من جماعة إسرائيل... لا تأكلوا شيئاً مختماً، في جميع مساكنكم تأكلون فطيراً» (خر ١٢: ١٤ - ٢١).

إن دم الحروف الذي طهرهم من الخطية، والأكل منه الذي ثبتهم فيه. كل ذلك استلزم حياة قداسة كاملة طول الحياة، يشير إليها عدد الكمال ٧ (سبعة أيام). في هذا إشارة إلى الكنيسة المقدسة الخالية من الخمير، التي قدسها الله

داخل الأبواب المرشوشة بالدم

بدمه. هذه الكنيسة ينبغي أن تعزل الخبيث من وسطها، تنزع الخمير من بيوتها، ولا تأكل شيئاً مختماً، وكل من أكل خميراً يقطع من جماعة المقدسين. هنا نرى الانفصال عن الشر ضرورة لازمة. لا يكفي فقط أن أقبل دم الخروف علامة على البيت من الخارج، وإنما أيضاً أنزع الخمير من الداخل. أفهم من هذا إشارة إلى الإيمان مع الأعمال. بلا شك. أنتدرج منه كمسيحيين ونقول أن تناول من جسد الله ودمه (من لحم الفصح) يستلزم أولاً التوبة والاعتراف (نزع الخمير)، حتى لا يتناول إلا القديسون الذين يأكلون الفصح مع فطير. إنك لا تستطيع أن تتناول من جسد الرب ودمه، ومن الخطية معاً. ينبغي أن تنزع الخمير أولاً فتتوب ثم تتناول.

على أعشاب مرة تأكلونه

كان الإسرائيلي فرح القلب لأنه نجا من سيف المهلك ووجد فدية واحتمى بالدم المرشوش على الباب. ولكنه كان

خرافة الفصح ورموزه للسيد المسيح

يأكل من الفصح وهو يحس بمرارة. لعلها كانت ترجعه نفسياً إلى الثمن الذي دفع من أجله. وإلى أي شيء يرمز هذا. نرجع بأنفسنا إلى تذكارتنا صلب المسيح في يوم الجمعة من أسبوع الآلام. لا شك أن المؤمنين فرحون لنوالهم الخلاص بصلب المسيح، ولكنك ترى الكنيسة ملتحفة بالسواد، وتسمع منها الألحان الحزينة، وتشترك في التذلل والسجود (المطانوات).. وتساءل ما هذا؟ إنها الأعشاب المرة التي يؤكل عليها الفصح، تذكار الصلب والآلام.. تذكار الأشواك والمسامير والجلدات والإهانات. تذكار الثمن الذي دفعه المصلوب لأجلنا «وهو محتقر ومخذول من الناس... مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا، كنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا...» (إشعيا ٥٣).

حياة الغريبة على الأرض

«وهكذا تأكلونه، أحقاؤكم مشدودة، وأحذيتكم في

أرجلكم، وعصيكم في أيديكم، وتأكلونه بعجلة» هكذا تناول الإسرائيلي الفصح لأول مرة. كان مستعداً للرحيل والهرب من أرض العبودية إلى الحرية التي يريدها له الله. وقد أراد الله أن يثبت هذه الصورة في ذهن الإسرائيليين باستمرار، صورة الغريب المسافر الهارب من أرض العبودية، حتى يتذكروا خلاص الله لهم. وإن كنا نرى أكل الفصح إشارة إلى التناول من جسد الله ودمه فعلينا أن تكون لنا هذه الصورة، فنتناول ولنا شعور الغريب الذي أزمع الهرب من أرض العبودية إلى أرض الموعد. مستعدين للسفر باستمرار.

هل يخلص غير الإسرائيليين؟

«كل ابن غريب لا يأكل منه» «وأما كل أغلف فلا يأكل منه» لأن غير المقدس بالدم، لا يشترك في أكل الفصح. الإيمان أولاً، ثم تأتي بركات الأسرار الإلهية. ومع ذلك لا يمنع الغرباء نهائياً من هذه النعمة، وإنما دعاهم أولاً أن يدخلوا من الباب

خروف الفصح ورموزه للسيد المسيح

فقال «وإذا نزل عندك نزيل وصنع فصحاً للرب فليختن منه كل ذكر ثم يتقدم ليصنعه فيكون كمولود الأرض. وأما كل أغلف فلا يأكل منه» (خر ١٢: ٤٨). وهكذا عن العبيد «كل عبد رجل مبتاع بفضة تختتنه ثم يأكل منه». لقد كان الختان إشارة إلى المعمودية وهي أول الأسرار لا يمكن ممارسة أي سر إلا بعد المعمودية.

وحدة الكنيسة

«في بيت واحد يؤكل». لا تخرج من اللحم من بيت إلى الخارج. وعظما لا تكسروا منه، لا يؤكل الفصح إلا داخل البيوت المرشوشة بالدم. أي لأعضاء الكنيسة فقط. وعظم منه لا يكسر. وقد تم هذا فعلاً مع المسيح، إشارة إلى وحدة الكنيسة. نحن أعضاء المسيح، كنيسة واحدة لا تنفك، المسيح هو رأسها. وعظمة منها لا تنكسر. الكسر عيب. وكان شرط خروف الفصح أن يكون بلا عيب.



المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الانترنت
<http://copticlibrary.blogspot.com>